الدرس الخامس: الصناعة المعجمية -2

تمهيد:

تعد المعجمية أحد أهم روافد اللسانيات الحديثة وهي على حداثتها كنظرية أو مقاربة، كانت محل اهتمام علماء اللغة في مختلف الحضارات، وكانت الحضارة العربية أكثر هذه الحضارات إسهاما في الصناعة المعجمية لما انتجته من معاجم عبر العصور، وكانت المعاجم سنام وثمار الدرس اللغوي العربي، لأن المعجم هو نظرية متكاملة، فلم ينجز الخليل معجمه إلا بعد أن استكمل جوانب اللغة المختلفة دراسة وتعمقا، فقد كان الخليل نحويا وصرفيا ولغويا ودلاليا وعالم أصوات، ثم قدم لنا زبدة وخلاصة علمه في انتاج معجم عظيم، هو معجم العين المشهور، وقد كان نتيجة تأمل وتعمق كبير في المسألة اللغوية.

والمعجمية هي الآن في العصر الحديث مشغل جوهري من مشاغل مؤسسات علمية وتربوية رائدة وأساسية، وهي محل اهتمام الباحثين، شغلهم الشاغل هو تحقيق نظرية معجمية متكاملة. الا ان هذا الهدف يعتريه كثير من المشاق والصعوبات لأن المعجمية هي من أعسر المسائل اللغوية دراسة، فهي لاتخضع لنظام يعمل على قواعد مطردة سعت نظريات مختلفة الى إقرارها، وهذا يعود حسب بعض العلماء الى أن المعجمية نظرية وصناعة هيفيتآزر وارتباط شديد مع العلوم المجاورة لها، وأنّها بحاجة الى التخلص شيئا فشيئا منها لتحقيق استقلالها ووضوحها.

ويكاد يتفق علماء المعجمية على أن هذه الأخيرة هي ذات رافدين أساسيين هما: علم المعاجم Lexiclogy ،وعلم صناعة المعاجم Lexicography. وسنتناول بعض المسائل اتي تتعلق بعلم صناعة المعجم، مفهومه وقضاياه والفرق بينه وبين علم المعاجم .

1. تعريف" علم صناعة المعجم"

يطلق المعجمي محمد رشيد الحمزاوي على "صناعة المعجم" اسم المعجمية بفتح الميم، ويعرفها بأنها مقاربة تسعى من خلال رؤىنظرية وتطبيقية الى أن تتصوربنية أو بنى المعجم والتطبيق لها[1]. ثمّ يعرفها في مكان آخر بقوله: المعجمية نعني بها صناعة المعجم من حيث مادته وجمع محتواهووضع مداخله وترتيبها وضبط نصوصه ومحتوياته وتوضيح وظيفته العلمية والتطبيقية، أداة ووسيلة يستعان بها في الميادين التربوية والتلقينية والثقافية والحضارية، والاقتصادية والاجتماعية[2]. أما حلمي خليل فيطلق عليه "فن صناعة المعجم" أو "علم المعاجم التطبيقي"، ويرى بأنه يقوم بعدة عمليات تمهيدا لإخراج المعجم ونشره[3].

---

(1) محمد رشاد الحمزاوي، المعجمية مقدمة نظرية ومطبقة، مصطلحاتهاومفاهيمها، مركز النشر الجامعي، تونس،2004، ص71

(2) نفسه، ص275

(3) حلمي خليل، مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي،ط1، دار انهضة العربية بيروت، 1997، ص13

ويعرفه علي القاسمي بقوله: "أما الصناعة المعجمية فتشتمل على خطوات أساسية خمس هي:

أ- جمع المعلومات والحقائق .

ب- وأختيار المداخل وترتيبها طبقا لنظام معين.

ت- وكتابة المواد .

ث- ثم نشر الناتج النهائي.

ج- وهذا الناتج النهائي هو المعجم أو القاموس[4].

أما محند الركيك فيقول: "نعتقد أن المصطلح الأقرب إلى Lexicographe هو قاموسية وهي أكثر دلالة ووضوحامن المصطلحات الأخرى، ويرى بأنّه بخلاف علم المعاجم الذي يهتم يالجانب النظريالمتعلق بقضايا المعجم تنصرف القاموسية Lexicographe إلى دراسة المجال التطبيقيللمعجم، فالقاموسية هي بمثابة تقنيةوصناعة تسعى إلى إعداد القواميس" ، يرى بأنّ القاموسيةهي ذات مستويين نظري وتطبيقي، فالنظري يراد به الأسس والقضايا النظريةالمعجمية التي يقدمها عالم المعاجم للقاموسي والتطبيقي ، المقصود به الصناعة والتقنية التي ينهجها القاموسيلإعداد القواميس[5].

ويخلص الأستاذ الجيلالي بوعافيةالى أن: ((الباحثين في التعريفات السابقة متفقون تقريبا في صناعة المعجم على مضمونه ، وهم متساوون في تحديد معالمه وحدوده وموضوعه، إذ يتفقون على على ما يتعلق بتلك الأدوات ، والإجراءات المؤدية إلى إنتاج المعاجم، ولكن الباحثين السابقين يختلفون في تحديد المصطلح الذي يسمى به هذا العلم أو الفن أو المقاربة، فقد مرت بنا عدة مصطلحات لهذا العلم منها: "صناعة المعجم"، "معجمية" بفتح الميم، "قاموسية"، وهم يختلفون في عدها فنا أو علما أو مقاربة[6].

2. موضوع صناعة المعجم:

هناك عدة عمليات تسبق اخراج المعجم في صورته النهائية لإخراجه ونشره، فهو ذو هدف أساسي يتمثل فيالحصول على المعطيات والمعلومات التي يقدمها "علم المعاجم" Lexicologie من أجل استغلالها والأستفادة منها لإنجاز المعجم المراد؛ وتختلف المعاجم وتصنف وفق معايير مختلفة منها "معيار الهدف" أي الهدف من هذا المعجم، وعليه تكون الإجراءات والعمليات في[7]:

---

(4) علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، ط3، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2003، ص20

(5) محند الركيك، المعجمية التفسيرية التأليفية(مدخل نظري)، مطبعة فاس، برس الليدو، فاس ، المغرب، 2000، ص06

(6) الجيلالي بوعافية، علم صناعة المعجم، مفهومه وقضاياه، مقال ، مخبر المعالجة الألية للغة العربية ، جامعة تلمسان.

(7) مصطح "قاموسية"و "معجمية" من اقتراح عبد السلام المسدي، وقد تبعه عدد من المعجميين المغاربة، في هده المصطلحات و

1. جمع المفردات أو الكلماتأو الوحدات المعجمية من حيث المعلومات والحقائق المتصلة بها.
2. أختيارالمداخل.
3. ترتيب المداخل وفق نظام معين.
4. كتابة الشروح أو التعريفات وترتيب المشتقات تحت كل مدخل.
5. نشر النتائج في صورة معجم أو قاموس.

3. موقف اللغويين من الصناعة المعجمية:

رغم تعدد وتنوع المدارس اللغوية ومظرياتها التي ظهرت في العصر الحديث إلا أنّه يلاحظ أنّها لم تؤثر في الحركة المعجمية إلا فينطاق محدود، ويرجع ذلك لعدة أسباب وعوامل منها:

اختلاف كل من المعجميين واللغويين تجاه مجالالآخر، فمن جهة المعجميين يلاحظ أنّه على الرغم من إفادة المعجم من بعض إنجازات علم اللغة، إلا أنّ المعجميين لا يقتنعون بالنظربة اللغوية في مجالهم، فيعدّون دراسة المعجم من أصعب الدراسات التي تواجهها اللسانيات التي لم توفق تماما في وضع أسس نظرية ومنهجية توفر له أسباب الإنتساب اليها وإلى مقارباتها ونظرياتها[8]، فيزعم المعجميون أنّ الصناعة المعجمية ليست علما، بل هي فن لا يمكن أن يتقيد بالطرائق الموضوعية التي يتبعها علم اللغة الحديث[9]، فيعدّون الصناعة المعجمية مجرد حرفة ومهارة لاتنتسب إلا قليلا إلى اللسانيات، على مافي مادة المعجم من جدل لغوي ومقاربات لسانية[10].

أمّا عن أسباب هذه الفجوة التي خلقها المعجميون تجاه النظريات، فيمكن تلخيصها في النقاط التالية[11]:

لم يعن مؤلفوا المعجمات قديما بالنظريات بقدر ما عنوا بالتطبيقات، أما في العصر الحديث فقد بقيت الحركة المعجمية يقودها الاقتناع والتقليد،وكانت في أغلب الأحيان مشروعات تجارية أكثرمنها منجزات تربوية وأكادمية، وتتوق أفضل المعاجم التجاريةإلى تلبية رغبات القراء التقليدية، ولم يبذل المعجميون التجاريون جهودا مخلصة للإلمام بالنظريات اللغوية، وتطبيقا في معجماتهملأن ذلك يكلف ثمنا باهظا ، ويستغرق وقتا طويلا، إضافة الى أنّهم قد يجازفون بجهودخم نظرا للتناقض بين طرائق البحث اللغوي وطلبات القراءالتقليدية.

المفاهيم ، ينظر المعجمية التفسيرية، ص06

(8) الحمزاوي، من قضايا المعجم العربي، ص169

(9) علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، ص05

(10) الحمزاوي، من قضايا المعجم العربي، د ط، دار الغرب الإسلامي، تونس ،1967، ص169

(11) علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، ص05

ويشعر المعجميون بوجود هوّة عميقة تفصل بين النظريات اللغوية التي تتصل بالمعنى، والتي ظهرت حديثا، والتطبيقات المعجمية التي مازالت حتى الآن تعتمد تقاليد قديمة، وذلك على الرّغم من إدراكهم أهمية الإطلاع على هذه النظريات الحديثة في علم الدلالة لمعرفة طبيغة الدلالة اللغوية ووجهاتها المختلفة إلا أنّهم في الوقت نفسه يترددون كثيرا في الاعتماد على الأسس غير المؤكدة للدراسات الحديثة التي تدور حول المعنى، لأن هذه الدراسات أوسع بكثير من الحدود التي يعمل فيها صنّاع المعاجم[12].

أما من جهة اللغويين وموقفهم من صناع المعاجم، فقد أهمل المعجم في دراسات بعضهم نتيجة موقف بعض النظريات اللغوية منها، فالمدرسة البنيوية التي بدأها" سوسير" كان اهتمامها الكبير بالصوتيات مما أدى إلى إغفال المعجم[13]، أما المدرسة البلومفيلدية التي هيمنت على المسرح اللغوي في الولايات المتحدة الأمريكية في منتصف القرن العشرين، فكانت تنظر الى المعجم على أنّه ملحق بالنحو والصوتيات، وأنّه قائمة من الإستثناءات الأساسية[14]، فاستهانت بقضايا المعجم لأنّها وضعت على بساط البحث قضية المعنى التي هي قضية عويصة، فالمعنى حسب رأي البينيوية من خصائص علم النفس والسلوك أو العلوم الوضعية، ولما كانت هذه المدرسة تدعو الى الوصفية وحسب، فإنها كانت ترى أن مسألة المعاني والمقابلات الدلالية ليست من مشمولاتها ولا من اهتمام اللسانيات[15]. وهكذا مال البنيويون الأمريكيون المتأثرون ببلومفيلد إلى تجاهل دراسة المعجم لأنه في نظرهم يعالج مفردات توصف بأنها غير تركيبية، أو يبدو التسيب في تركيبها على الأقل[16].

كذلك الحال عند التوزعيين الذين عنوا " الوضع" هو الذي يحدد المعنى ويعرفه، ومن هنا يبدو انّ علم الدلالة مرفوض من حيث كونه أداة توصيلية لمعرفة بنى اللغة أولا، وطريقة تحليلها ثانيا، فيتبين أنّ المعاني ليست المرفوضة هنا، أو المنكرة بل إمكانية بناء التعليل على أساس معنوي وحسب، لأنّ المعنى لا يتسرب في عملية التحليل ولا يتدخل إلا بوصفها تقنية نتعرف بهاعلى البيانات المثالية، إلا أنّ "فيرث" البريطاني، وهو معاصر لبلومفيلد دعا إلى المعنى بشكل قلب الدراسة اللغوية، ويعدها نشاطا ذا معنى، وهكذا منذ أواخر الخمسينات ظهرت بعض الكتب الأمريكية التي تعطي حيزا بسيطا للدلالة، مثل محاولات "هيل" و"غليسون" و"هال"، وعلى الرغم من أنّ فيرث كان واحدا من هؤلاء اللغويين الذين ربطوا بين التحليل النحوي، والمعنى، إلا أن هيمنة المدرسة الشكلية

---

(12) محمد سليمات ياقوت، معاجم الموضوعات د ط، دار المعرفة الجامعية الأسكندرية، مصر، 1994، ص331

(13) الحمزاوي، المعجم العربي في القرن العشرين،مجلة مجمع اللغة العربية، ج53، ص26

(14) علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، ص05

(15) الحمزاوي، المعجم العربي في القرن العشرين،مجلة مجمع اللغة العربية، ج53، ص262

(16) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط2، عالم الكتب القاهرة، 1988، ص82

الأمريكية كانت تحول دون ظهور عمق التحليل النحوي وواقعيته من ارتباطه بالمعنى سواء عند فيرث أو عند غيره[17].

ثمّ جاءت المدرسة التوليدية التي تزعمها تشومسكي فاهتمت أولا بالنحو وقضاياه، ثمّ خصصت عنايتها بقضية التعرف على المعجم، مستفيدة بذلك من بعض أسس المنهج التحليلي، فركزت على ثلاثة عناصر: الصوتيات والنحو والدلالة[18] فرأت أنّ دراسة هذه البنية تحتاج إلى فهم العلاقات من داخلها، لا من حيث هي وظائف وأشكال على المستوى التركيبي، بل عدّها علاقات تصورية وإدراكية، يؤدي العقل الإنساني دورا واضحا فيها، من حيث تقدير محذوفات لا تظهر على البنية السطحية[19].

كما أنّ نظرية الحقول الدلالية هي أكثر نظرية اهتمت بالمعجم، فقد ردت العمل المعجمي الى مجال علم اللغة، لأنها أعطت مفردات اللغة شكلا تركيبيا يستمد كل عنصر فيه قيمته من مركزه داخل النظام العام، ووضعت المفردات في شكل تجمعي تركيبي ينفي عنها السبب المزعوم[20].

وهناك أسباب أخرى أدت إلى حدوث هذه الفجوة بين النظريات اللغوية والصناعة المعجمية تتعلق بالحركة اللغوية نفسها، إذ يواجه المعجمي صعوبات إذا أراد التقيد بالمبادئ اللغوية، منها التغير السريع في المسرح اللغوي، حيث كانت تظهر في الحقبة نفسها مدارس لغوية عدّة، كما أنّ بعض هذه المدارس كانت تتعرض للتطور والتغيير، وقد يستغرق المعجم سنوات عديدة ثم ينتهي ليكشف في النهاية أنّ هذه النظرية التي طبقها أصبحت قديمة ومهملة قبل أن ينشر معجمه، إلى جانب اختلاف اللغويين فيما بينهم في المدرسة الفكرية الواحدة على كيفية معالجة المشكلة الواحدة[21].

---

(17) حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، دط، دار المعرفة، الإسكندرية، 1996، ص212

(18) الحمزاوي، المعجم العربي في القرن العشرين،مجلة مجمع اللغة العربية، ج53، ص262

(19) حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص180

(20) أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، مصر، 1988، ص30

(21) علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، ص06